وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت / كلية التربية للبنات
قسم علوم القرآن
الدراسات الاولية / بكالوريوس

المحاضرة الثالثة: انقسام مدارس التفسير

المرحلة : الرابعة

مدرس المادة:
أ.د إبراهيم علي فحل
alfahal_٦٤@tu.edu.iq

انقسام التفسير الى مدرستين:

نجد اختلافا بين افراد بني الانسان في تقبلهم للدين والتدين في ردود الفعل التي يحدثها التدين في نفوسهم .

فالتدين نزعة فطرية طبيعية عند بني البشر ومن فقدها منهم يعتبر شاذا ، والافراد غير المتدينين أو غير المؤمنين بدين قليلون جدا في جميع عصور الانسانية)

بالنسبة للجمهرة العامة من بني الانسان ولذا يجب ان ننظر الى الانسان بانه مخلوق متدين ويعتقد بوجود قوة خفية تسيطر على الكون وتصرفه والكون مخلوق لها محتاج في نظامه الى تدبيرها ورعايتها الانسان هذه القوة احيانا على هيئة من الحجر وهذا لا يدل على ان

يصور الانسان الذي يعبد الحجر بهيئة معينة انه يعبد جوهرها وانما يعتقد ان الهيئة الماثلة

امامه هي رمز لتلك القوة او تقربه اليها وهكذا الشأن في الذين يعبدون النجوم والحيوانات. وقد حكى القرآن الكريم رأي المشركين في معبوداتهم فقال : (ما نعبدهم الا ليقر بونا الى الله زلفى))

ذلك وتكذيبهم للرسل هو انكار كونهم مرسلين من قبل الله عز وجل ومرجع اعتيادهم على نوع خاص من التدين ووجود شخصيات في المجتمع الذي يعيشون فيه يعظمونهم اكثر ممن اختارهم الله متصورين ان مقياس الله للاشخاص لا بد ان يكون موافقا لنظرتهم ولو كان هناك شرف يحاز لحازه هؤلاء ، أو لما كان الله يريد ان يطاع رسوله فيجب ان يرسل من يطيعونه هم او هو قادر على فرض النوع الذي يريده.

لهم من الدين . وهذه مشكلة الرسل في جميع الديانات تقريبا . وقلما يواجه المرسل مجتمعات تنكر وجود اله انكارا وجحودا تاما فالغالب هو وجود اله ولكن بصورة وواجبات وصفات تختلف عن الحقيقة.

هذا الانسان المتدين اذا آمن بدين معين ورسالة واضحة تختلف ردود الفعل عند افراده اختلافات تنحصر بين اتجاهين .

الاول : هو التمسك الشديد بالدين والتعصب لها والتعنت في تطبيقه والتأثم من مخالفة شكلياته جملة وتفصيلا.

والاتجاه الثاني : هو التساهل في الاعتقاد وعدم الالتفات الى الشكليات والاقتصار على ادنى ما يسمى دين وعدم التحرج من مخالفة الاوامر والنواهي والخروج على الجزئيات .

وبين هذين الاتجاهين درجات كثيرة فيها التعصب والتمسك المعقول والتأثم الواجب وفيها التساهل المقبول والتأويل المستساغ .

هذان الاتجاهان لهما انعكاسات في تفسير النصوص الشرعية ان كان الدين كتابيا - اي له كتاب مقدس - وغالب الاديان لها كتب مقدسة منزلة من الله في الاديان السماوية او من وضع دعاتها وادعائهم انها من الله سبحانه فمنهم الذي يقف عند حرفية النصوص ولا يحيد عنها ويطبق مدلولاتها الظاهرة.

من غير ادنى خروج على ظواهرها ومنهم الذين يتحرون مقصد النصوص وروح الشرع فيأولون النصوص حسب ما يملي عليهم اعتقادهم فيها بالقدر الذي لا يرون انفسهم قد خرجوا على

مقتضى العقيدة ومقاصد الشرع وروح النص ومن هؤلاء من يتساهل جدا حتى لا يستطيع الانسان ان يجد علاقة بين النص الديني وما يذهبون اليه في تاويلهم له الا بمشقة وعناء وكد ذهني وبين هؤلاء واولئك درجات فيها المعقول المستساغ وفيها المغالي في احد الاتجاهين

والذي جعل هذين الاتجاهين يتجليان في الدين اكثر من غيره والنصوص الدينية دون سواها ، هو ان الكتب المقدسة اما ان يدعي اصحابها انها من الله او هي في حقيقة حالها كذلك . وفي كلتا الحالتين تكون علاقة الناس بالله سبحانه وتعالى هم

الانبياء والرسل الذين معهم الكتب فان مات الانبياء والرسل انقطعت علاقة الناس بالله الا عن طريق الكتب التي خلفها الانبياء ، ومراد الله سبحانه من النصوص هو الاشكال الذي يواجه الناس ذوي الاعتقاد بصحة هذا الدين وهذه الكتب.

والنظرة الى النصوص تتغير بتغير الظروف والازمان لخلق ظواهر اجتماعية وفكرية تملي على القارىء النصوص نوعا من الفهم يختلف عمن لم تحيطه تلك الظروف ونريد ان نسلم بهذا الى نظرة المسلمين للقرآن الكريم في ضوء ما تقدم .

فالاتجاهات التفسيرية سارت بنفس الاتجاهين ولكن الذي جعل المسلمين يستطيعون التمييز بين التفسيرات الصحيحة والسقيمة بايسر مما يستطيع غيرهمان ج القرآن الكريم بقي حيا بين عامة المسلمين ولم يكن مقصورا على رجال يعينهم هو الحال في كثير من الديانات.

وحياته كانت بكثرة مدارسته وتطبيق نصوصه من قبل المسلمين فلم يكن بين عصر نزوله وعصر دراسته وتفسيره فجوة زمنية كافية لطمس معالم الطريق الحق في الاعتقاد السليم والتفسير الصحيح لنصوص القرآن الكريم .

ولكن بناء على اختلاف اتجاهات النشاط النفسي لدى بني الانسان اتجه التفسير هذين الاتجاهين

كما ان القرآن الكريم استغرق نزوله ثلاثاً وعشرين سنة تقريبا ثم لم يكن ترتيبه التاريخي هو الترتيب التعبدي الثابت الان ولكن نزول النص كان عند حصول الظروف الملائمة له او احتياج المسلمين الى حكمة بما يكتنفهم من امور واحداث ٢ وترتيبه التاريخي معجز في وقت نزوله وترتيبه التعبدي معجز الى يوم القيامة ، ولاختلاف الاثنين اختلافا كبيرا احتاج المسلمون لنقل امين للصورتين ليعلم مغزى الاولى وهيئة الثانية وكلتاهما موقوفتان من الله سبحانه وتعالى

وهذا ما قام به الرسول ﷺ وصحابته الكرام من بعده الذين حضروا نزوله وعلموا ظروفه وسمعوا امر الرسول ﷺ بترتيبه كما اراد الله .

وهذا ما لا تستقيم عبادة المسلمين الا به فحرصوا على نقله وتضافر وا عليه ، وبنقل التسلسل التاريخي والتعبدي للقرآن الكريم عرف ما اطلق عليه العلماء باسباب النزول وعرف ناسخ القرآن من منسوخه .

نقل المسلمون هذا ونقلوا معه بعض الشروح التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض النصوص ونقل الصحابة القرآن الكريم وهم اعلم الناس به لانه نزل بلغتهم وتكلم عن احوالهم وعالج ادواء مجتمعهم فيعلمون ما نطق به القرآن عاما واراد شيئا خاصا بعينه او ما كان يحكي قصة لاحد الناس واراد الله بها عموم المسلمين أو حكمها يعم بقية المسلمين ويعرفون مجمل القرآن وما كان مبهماً يعرفون قصده.

وهذا كله . سمي فيما بعد بالتفسير بالمأثور وقامت عليه مدرسة لها تفاسير لا تعني الا بهذا النوع من التفسير وما لائمه من مدلولات النصوص القرآنية .

كما ان احتياج المسلمين الى تفسير ظواهر كثيرة استجدت واحكام لقضايا لم تكن عند نزول القرآن وقد تكلم عنها بطريق الاشارة او تكلم على مثلها فقاس المسلمون الحادث على المذكور وهذا وغيره سمي فيما بعد بالتفسير بالرأي وقامت له مدرسة نشأت فيها تفاسير تعتني كثيرا بهذا النوع من التفسير .